كيف نختار شريك حياتنا؟[1]

الأم سلوانا (ڤلاد)

سؤال: كيف نختار شريك حياتنا؟

جواب الأم سلوانا:

مثلما فعلَ آدم! أتعلمون كيف اختار آدم زوجته؟ وضعه الله في نومٍ وأخذَ ضلعه وخلقَ المرأة، ثمَّ أيقظَهُ وقال له: "آدم، اختَرْ زوجةً لك!".

يجب أن يكون هذا الخيار خيارَ القلب والعقل والجسد. فبسبب السقوط في الخطيئة، تحطَّمنا إلى قطعٍ صغيرة: يريد القلبُ شيئًا فيما يريد الجسدُ آخر، والعقلُ أيضًا يريد شيئًا مختلفًا. وعندما نريد الزواج، علينا استدعاء الثلاثة ليكونوا واحدًا، وأن نتحدّث مع ثلاثتهم ونستشيرهم في داخلنا.

عندما يحينُ الوقت لاختيار شريك الحياة، فإنّ الصوت الأقوى يكون صوت الجسد. عندما يفتّش أحدُهم عن عروسٍ له، أو إحداهنّ عن عريسٍ لها –وبخاصّةٍ عندما يبحث شابٌّ عن زوجةٍ له– يشعر الجسد بموجاتٍ خاصّةٍ فيه. في أيّامنا هذه، الناس مشوَّشون ويشعرون بهذه الموجات طيلة اليوم ونحو الاتّجاهات كلّها – إذا رأوا إعلانًا، تُصدِرُ أجسادهم موجات، ولا يعرف الجسد أنَّها مجرّد صورةٍ على الشاشة؛ فيشعر بالمشاعر الجسديّة للزواج، ومن ثمَّ يتحرّق لأنَّه لا يملك عروسًا بل أمامه مجرّد آلة تلفاز.

لذلك، علينا أن ننتبه لما نفعله، وأن نُصغي إلى ذبذبات الجسد. ثمّة خفقانٌ خاصٌّ وضعَه الله في جسد الإنسان، خفقانٌ يرسل إشارةً من الرجل إلى المرأة ومن المرأة إلى الرجل، بغضّ النظر عن العمر. هذا الخفقان لا يتلاشى، وإنما تتغيّر طريقة استخدامه فقط.

هذا هو الصوت الأوّل: صوت الجسد الذي يرتعش [...] وبعدها يأتي صوت القلب. وللقلب مشاعر تدوم أكثر من ارتعاش الجسد – لأنّ هذه تتلاشى نوعًا ما بعد الزواج، وأمّا المشاعر فتبقى. إنَّ ما يصدرُ عن القلب

[1] مقتطفٌ من مؤتمر عنوانه "شبابٌ من دون شيخوخة وحياةٌ من دون موت" (هذا عنوان حكاية شعبيّة رومانيّة شهيرة)، في دوروهوي، رومانيا، 26 آذار 2009.

هو الحبّ. وعندها علينا أن نسأل قلبنا: "أتحبّينه؟ نعم أحبّه! أتحبُّها؟ نعم أحبُّها!". عندما تجدُها تقول شيئًا غبيًّا [اسأل قلبك]: "أما زلتَ تحبُّها؟ نعم أحبّها!". عندما ترَين أنَّه يبصق على الأرض [اسألي قلبك]: "أما زلتِ تحبّينه؟ حسنًا لا أحبّه عندما يبصق، لكن ربّما سيتوقّف عن القيام بذلك إذا تزوّجته". وبعد أن يتزوّجا، تجده يقوم بذلك أكثر من ذي قبل.

لذلك، انتبهوا إلى ما يُحسُّه قلبكم عندما ترون في الآخر بعض الخصال المُنفِّرة – إذ لا أحدَ مثاليّ، ولدى جميعنا شيءٌ منفِّرٌ.

ثمَّ علينا التفكير بعقولنا. إن تزوَّجنا، فما الذي سنفعله؟ أين سنسكن؟ ماذا سنفعل عندما ننجب أطفالًا؟ هل ستحبّين والدته أيضًا، أم ستقولين إنَّ لديك حماةً شرّيرة؟ هل ستحبّين أخاه الذي يحشر أنفه في كلّ شيء؟ إذًا، إننا سنُزوِّجُ عائلتنا كلَّها بعائلة زوجنا كلّها. سنصبح أقرباءَ مع عائلته، وبالعكس. إذا لم نُشغّل عقلنا، فسندرك بعد الزواج أنّنا لم نكن على درايةٍ بأنَّ لديه سبعة إخوةٍ يريدون كلّهم مغادرة قريتهم والدراسة في المدينة والعيش معنا. حسنًا، كان عليكِ التفكير في ذلك قبل أن تتزوَّجا.

لذا، عليكم أن تسألوا جسدكم وقلبكم وعقلكم، ومن ثمَّ أن تُقرّبوا ثلاثتهم أمام الله. وأبوكم الروحيّ الذي ربّاكم في الكنيسة إلى ذلك الحين –عليكم أن تتّفقوا [مع الشريك العتيد] على اتّخاذ الأب الروحيّ نفسه للاسترشاد– سيقدِّم لكم النُّصح: ليس بتحديد مَن يجب أن تتزوّجوا، أو إذا كان عليكم أن تتزوّجوا فُلانًا أم لا، بل، بنعمة الله الحالّة في أثناء سرّ الاعتراف المقدّس، سيلفتُ انتباهكم إلى أمورٍ محدّدةٍ عليكم التفكير فيها وتسليمها إلى الله.

ثمَّ عليكم استشارة والديكم ووالديهنّ. من الجيّد أن تنالوا بركة الوالدين. يعترض الوالدون أحيانًا على هذه الزيجة لأسبابٍ لا تبدو منطقيّةً البتّة بالنسبة إلى الشابّ أو الشابّة. يقولون مثلًا إنَّ أنفه كبيرٌ جدًّا، [وتفكّر الشابّة]: "هذا غير منطقيّ، لأنّني أحبُّه على الرَّغم من أنفه الكبير!". غير أنّ الأهل يملكون حدسًا، ويستشعرون بالخطر المحيق بأولادهم. لا يعرفون كيف يصِفون الأمر، لا يعرفون ما الذي لا يُحبّونه في الشخص الآخر بالضبط، لكنَّهم يستشعرون خطرًا ويُحذّرونكم من أنَّ هذا الزواج ليس أفضل ما يمكن القيام به. من الجيّد الحصول على برَكة الوالدين. بالطبع، عندما يحكم الوالدون على الأمور من وجهة نظرٍ مادّيّة،

وليس من وجهة نظرٍ روحيّة، يمكن للشابّ والشابّة أن يتزوّجا حتّى من دون موافقة الوالدين، وسيحصلان على البركة لاحقًا لأنّ قلوب الوالدين ستَلين.

إلّا أنّ الأمر الأهمّ هو: ماذا سنفعل بعد أن اخترناه أو اخترناها؟ سنتزوّج. يحوّل الزواج الشابّ والشابّة إلى زوجٍ وزوجة. ليس الرجل والمرأة زوجًا وزوجة، إنّهما رجلٌ وامرأة. يمكنهما القيام بما يقوم به الزوج والزوجة بعد العرس، لكنَّ الأمر مختلف. إنَّه أمرٌ متعلّقٌ بالجسد، أمرٌ بيولوجيّ. بعد الزواج، يتقدّس جسدا الرجل والمرأة وتصبح علاقتهما مقدّسة. يجب أن يفهم الأولاد أنّ العلاقة الجسديّة بين أبيهم وأمّهم مُقدّسة.

إنّ سرَّ الكنيسة الأرثوذكسيّة هو سرّ التحوّل. تحلُّ نعمة الله في الكنيسة الأرثوذكسيّة وتُحوِّلُ أمرًا ما إلى أمرٍ آخر: تُحوّل أمرًا من هذا العالم إلى أمرٍ من الله أيضًا. يتحوّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه. ويتحوّل الشابّ إلى كاهنٍ بالنعمة الحالّة عليه، وليس بمجرّد ارتدائه غنبازًا أسود وقوله إنَّه أصبح أبًا. يتحوّل الشابّ والشابّة إلى زوجٍ وزوجةٍ بنعمة الله التي ينالانها في عرسهما. ويتقدّس المريض من خلال المسحة المقدّسة [مسحة المرضى].

علينا الانتباه إلى خدم الصلاة في الكنيسة: خدمة الزواج المقدّس والقدّاس الإلهيّ وخدمة الجنازة. علينا الانتباه خلال العرس، علينا أن نصلّي، أن ندعوا الله، أن نقول آمين، أن نتلوَ الصلوات؛ وعندها تنحدر النعمة وتحلُّ علينا. تأتينا النعمة على كلّ حال، لكنّنا لا نستفيد منها! نحرص على أن نبدو حسَني المظهر في صور العرس، نراقب مَن يدوس على رِجل من، ومَن من الزَّوجين هو القويّ كالديك ومن الضعيف كالدجاجة – أوّلًا وقبل كلّ شيءٍ، ليس الرجل هو الديك، لأنَّه رجل [إنسان] وليس ديكًا!

لذا، علينا أن ننتبه إلى الخدمة وأن نصلّي. بعدها، عندما تحلُّ الهموم –لأنَّنا جميعًا نجلب معنا عاداتٍ محدّدةً من عائلاتنا مثل مهرٍ: "في عائلتنا كنّا نفعل كذا... كان أبي معتادًا على فعل كذا... كانت أمّي تقوم بكذا.."– علينا التخلّي عن هذه الأمور كلّها لكي نصبح زوجًا وزوجةً ونتعايش مع بعضنا. إذًا، علينا أوّلًا التخلّي عن العادات السيّئة التي تعلّمناها من آبائنا وأمّهاتنا، لكنَّنا من بعدها نكتشف عيوب الآخر: إنَّه جبان، إنَّه كسول، إنَّها ثرثارة – هذه أمورٌ نكتشفها بعد الزواج، ليس لأنّ الآخر كذبَ علينا سابقًا، بل لأنّ الظرف لم يكن مؤاتيًا [لظهور هذه العيوب]. إذا كنتما معتادَين أن تلتقيا مدّة ساعتين في الأسبوع، فكم من الوقت

يستطيع أحدكما التحدُّث؟ ليس لأكثر من ساعتين. ولكنْ إذا بقيتما مع بعضكما أربعًا وعشرين ساعةً في اليوم، فمن المؤكّد أنّ الأمور ستتغيّر. عندها يجب أن تتذكّرا أنّكما نلتما النعمة في العرس، وعليكما أن تقولا: "يا ربّ، هبني أن أستخدم النعمة التي منحتني إيّاها في العرس لكي أستطيع أن أحبّه أو أحبّها!". صرخ شابٌّ إلى الربِّ بعد بضعة أشهرٍ من زواجه قائلًا: "يا ربّ، كيف يمكنني أن أحبّها وأنا لا أعرفها حتّى! أنا لم أتزوّج هذه الإنسانة!". وصلّى وصرخ إلى الله. وكلّمه الله في قلبه قائلًا: "أَحِبَّها كما أحبُّها أنا! أنا أحبُّها، لقد مُتُّ من أجلها! عليكَ أن تحبَّها هكذا!". وهذا ما تفعله النعمة التي يمنحها الله في العرس: تُعطينا أن نُحبَّ ما يستحيلُ أن يُحَبّ.

ثمّ يجب أن تتذكّرا أنَّ عليكما أن تُحبّا بعضكما بعضًا [في الأوقات كلّها]؛ عندما تطبخين قولي: "يا ربّ بارك زوجي!"، عندما تتعانقان صلّيا: "يا ربّ، هَبنا نعمة الزواج لكي يحبّ أحدُنا الآخر في نعمتك!" – وعليكما ألّا تشاهدا صورًا سيّئة. عندها سترَيان ما هو الحبّ، وستكتشفان ما هي الحياة الصالحة.

إذًا: عليكما أن تُصلّيا من البداية إلى النهاية؛ وأن تضعا أمام الله الأشياء الثلاثة التي ذكرتُها.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Mother Silouana Vlad (2009). “How should we choose our life partners?”. In *Sayings of the Romanian Elders*. RomElders.